بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا أَرَدتَّ السَّلَامَةَ مِنْ غَيْرِكَ فَاطْلُبْهَا فِي سَلَامَةِ غَيْرِكَ مِنْكَ 24 ذُو الْحِجَّةِ 1446هـ

عِبَادَ اللهِ: أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ ﷻ، فَاتَّقُوا اللهَ وَارْجُوا رَحْمَتَهُ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَاحْذَرُوا أَنْ تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِمَا لَا يَعْنِيكُمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنَ اشْتِغَالِ الْمَرْءِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ اشْتِغَالُهُ، بِالْخَوْضِ فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ وَالِاقْتِصَادِ، وَتَحْلِيلِ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ، وَقَوْلِ فُلَانٍ وَقَوْلِ عِلَّانَ، مِمَّا لَا يَتَعَلَّقُ بِغَرَضٍ شَرْعِيٍّ، وَلَا نَفْعٍ دُنْيَوِيٍّ، كُلُّهُ مِنْ إِهْدَارِ الزَّمَانِ، وَالِاشْتِغَالِ بِمَا لَا يَعْنِي، الَّذِي يُبْغِضُهُ اللهُ ﷻ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». وَأَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الْخَوْضُ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ بِجَهْلٍ أَوْ هَوًى، وَالْكَلَامُ عَلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّهُ مِنْ سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ حَذَّرَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وَقَرَنَ سُبْحَانَهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ بِالْكَبَائِرِ وَالْإِشْرَاكِ بِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: كَمْ جَلَبَ الِاشْتِغَالُ فِيمَا لَا يَعْنِي مِنْ بَلِيَّةٍ، وَكَمْ أَوْرَثَ مِنْ رَزِيَّةٍ، صُدُورٌ أُوغِرَتْ، وَخُصُومَاتٌ أُجِّجَتْ، وَأَزْوَاجٌ طُلِّقَتْ، وَأَسْرَارٌ نُشِرَتْ؛ بِسَبَبِ أَقْوَامٍ تَدَخَّلُوا فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ، فَبَاؤُوا بِإِثْمِهَا وَوِزْرِهَا؛ ذَلِكُمْ أَنَّ الِاشْتِغَالَ فِيمَا لَا يَعْنِي كَثِيرًا مَا يُوقِعُ فِي الْحَرَامِ، وَيُورِثُ الذَّنْبَ؛ وَلِذَا حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّمْتِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، وَذَمَّ اللهُ ﷻ النَّجْوَىٰ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْكَلَامَ إِلَّا مَا كَانَ فِي خَيْرٍ، فَقَالَ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وَكُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْمَرْءُ مِمَّا يَعْنِيهِ أَوْ لَا يَعْنِيهِ، فِي سِرٍّ أَوْ نَجْوَىٰ مَكْتُوبٌ وَمُحْصَىٰ عَلَيْهِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ إِقْبَالَ الْمَرْءِ عَلَىٰ شَأْنِهِ، وَاشْتِغَالَهُ بِمَا يَعْنِيهِ، وَكَفَّهُ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ عَلَامَةُ تَوْفِيقٍ، وَدَلِيلُ هِدَايَةٍ، وَهُوَ سِمَةُ ذَوِي الْعُقُولِ الْأَلِبَّاءِ، فَضْلًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَتْقِيَاءِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». وَحُسْنُ إِسْلَامِ الْمَرْءِ يَعْنِي كَمَالَ إِسْلَامِهِ وَتَمَامَهُ، وَبُلُوغَهُ رَفِيعَ مَقَامَاتِهِ، فَمِنْ كَمَالِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ وَاسْتِقَامَتِهِ عَلَىٰ الدِّينِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ، وَاشْتِغَالُهُ بِمَا لَا يَعْنِيهِ يَحْجُزُهُ عَنْ بُلُوغِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، وَيَخْدِشُ فِي كَمَالِ إِيمَانِهِ. وَحَسْبُ الْمُؤْمِنِ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَذْكِرَةً وَإِرْشَادًا، فَإِنَّهُ إِذَا مَا عَمِلَ بِهِ فَتَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فَقَدْ أَحْسَنَ إِسْلَامَهُ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِسْلَامَهُ فَقَدْ أَحْرَزَ الْفَضَائِلَ وَالْمَكْرُمَاتِ، وَرَبِحَ مُضَاعَفَةَ الْأُجُورِ وَالْحَسَنَاتِ، حَتَّىٰ تَكُونَ الْحَسَنَةُ فِي مِيزَانِهِ أَثْقَلَ مِنَ الْجِبَالِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا». قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ»: وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ وَالِاحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ وَالزِّنَىٰ، وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ، حَتَّىٰ تَرَىٰ الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَنْزِلُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَمْ تَرَىٰ مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ

الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا يُبَالِي مَا يَقُولُ. اهـ

عِبَادَ اللهِ: الِاشْتِغَالُ بِمَا لَا يَعْنِي يُورِثُ قِلَّةَ التَّوْفِيقِ، وَفَسَادَ الرَّأْيِ، وَخَفَاءَ الْحَقِّ، وَقَسْوَةَ الْقَلْبِ، وَمَحْقَ بَرَكَةِ الْعُمْرِ، وَحِرْمَانَ الْعِلْمِ، وَقِلَّةَ الْوَرَعِ، وَرُبَّكُمْ قَدْ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ»: قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ: مَنْ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، حُرِمَ الصِّدْقَ. وَقَالَ مَعْرُوفٌ: كَلَامُ الْعَبْدِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ خِذْلَانٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

إِنَّ الِاشْتِغَالَ بِمَا لَا يَعْنِي يَقُودُ إِلَى التَّثَاقُلِ عَنِ الطَّاعَةِ، وَالتَّقْصِيرِ فِيمَا يَنْفَعُ، وَيَصْرِفُ عَنْ مَعَالِي الْأُمُورِ.

وَالِاشْتِغَالُ بِمَا لَا يَعْنِي: هُرُوبٌ مِنَ الْمَسْؤُولِيَّةِ، وَأَمَارَاتُ عَجْزٍ وَكَسَلٍ، وَضَعْفِ الصِّلَةِ بِاللهِ، وَغَفْلَةٍ عَنْ سُنَنِهِ، وَجَهْلٍ بِالْمَصَالِحِ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْمَسْؤُولِيَّاتُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَتَّسِعَ لَهَا عُمُرُكَ الْقَصِيرُ، وَهُوَ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ يُصْرَفَ فِيمَا لَا يَعْنِي، وَتَرْكُ مَا لَا يَعْنِي حِفْظٌ لِلدِّينِ، وَزَكَاءٌ لِلنَّفْسِ، وَتَرْبِيَةٌ عَلَى الْجِدِّ، فَلَا تُضَيِّعْ نَفِيسَ أَنْفَاسِكَ، وَلَا دَقِيقَ دَقَّاتِ قَلْبِكَ فِيمَا لَا يَعْنِي، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَطَلَّبَ صَلَاحَ نَفْسِهِ وَسَلَامَةَ صَدْرِهِ فَلْيَشْتَغِلْ بِعَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَبْكِ عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَإِنَّ الِاشْتِغَالَ بِعُيُوبِ النَّفْسِ، وَتَجَنُّبَ عُيُوبِ النَّاسِ يُورِثُ نُورَ الْقَلْبِ، وَرَاحَةَ الْبَالِ، وَصَفَاءَ الضَّمِيرِ، وَسَلَامَةَ الطَّوِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ أَنْفَعِ الطُّرُقِ لِسَدِّ بَابِ الْغِيبَةِ، فَلَوِ انْشَغَلَ الْإِنْسَانُ بِعَيْبِ نَفْسِهِ عَنِ التَّفَرُّغِ لِتَتَبُّعِ عُيُوبِ النَّاسِ، لَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ، وَالْوُقُوعِ فِي الْغِيبَةِ، وَالْأَمْرُ كَمَا قِيلَ: مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ. أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ»، وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِهِ «الصَّمْتِ»، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ مُولَعًا بِعُيُوبِ النَّاسِ نَاسِيًا لِعَيْبِهِ، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ

مُكِرَ بِهِ. وَأَخْرَجَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «الصَّمْتِ» عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَا أَحْسِبُ أَحَدًا تَفَرَّغَ لِعُيُوبِ النَّاسِ إِلَّا مِنْ غَفْلَةٍ غَفَلَهَا عَنْ نَفْسِهِ.

وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «دِيوَانِهِ»:

الْمَرْءُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعًا ... أَشْغَلَهُ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ وَرَعُهُ

كَمَا الْعَلِيلُ السَّقِيمُ أَشْغَلَهُ ... عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهُ

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَنَادَىٰ بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ: لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ». وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَوْمًا إِلَىٰ الْبَيْتِ أَوْ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ، وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ.

فَإِذَا أَرَدتَّ أَنْ تَسْلَمَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ وَأَذَاهُمْ فَكُفَّ عَنِ النَّاسِ شَرَّكَ وَأَذَاكَ يَكْفِكَ اللهُ شَرَّهُمْ وَضَرَّهُمْ.

وَمَا أَرْوَعَ قَوْلَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي «دِيوَانِهِ»:

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الرَّدَىٰ ... وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ

فَلَا يَنْطِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوْأَةٍ ... فَكُلُّكَ سَوْءَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ

وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَائِبًا ... فَدَعْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

وَعَاشِرْ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحْ مَنِ اعْتَدَىٰ ... وَدَافِعْ وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ